آداب عيادة المريض

س: اذكر بعض آداب عيادة المريض؟

ج: من آداب العائد: أن يضع يده على المريض، ويسأله كيف هو، ويخفف الجلوس، ويظهر الرقة، ويدعو له بالعافية، وبغض البصر عن عورات المكان. ويستحب للمريض أن يفعل ما أخرجه مسلم في أفراده، من حديث عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**» [أخرجه مسلم (٢٢٠٢)].

س: وما الآداب التي يلزم المريض الأخذ بها؟

ج: جملة آداب المريض: حسن الصبر، وقلة الشكوى والتضجر، والفزع إلى الدعاء، والتوكل على الله سبحانه.

آداب تشييع الجنائز

س: ما المقصود من تشيع الجنائز والتعزية؟

ج: المقصود من التشييع: قضاء حق المسلمين، والاعتبار.

قال الأعمش: «**كنا نحضر الجنائز، فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم**».

س: وما المقصود من زيارة القبور؟

ج: المقصود من زيارة القبور: الدعاء، والاعتبار، وترقيق القلب.

س: ما آداب تشييع الجنائز؟

ج: من آداب تشييع الجنائز: المشي، ولزوم الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتفكير في الموت، والاستعداد له.

حقوق الجار

س: ما هي حقوق الجار؟

ج: الجوار يقتضي حقًا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق ما يستحقه كل مسلم وزيادة.

واعلم: أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى والرفق، وابتداء الخير، وأن يبدأ جاره بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه في الفرح، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع إلى داره، ولا يضايقه في وضع الخشب على جداره، ولا في صب الماء في ميزابه، ولا في طرح التراب في فنائه، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف من عوراته، ولا يتسمع عليه كلامه، ويغض طرفه عن حرمه، ويلاحظ حوائج أهله إذا غاب.

حقوق الأقارب والأرحام

س: وما هي حقوق الأقارب وذوي الرحم؟

ج: في الحديث الصحيح، من رواية عائشة، أن النبي ﷺ قال: «**الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» [أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥)]. وفي حديث آخر من أفراد البخاري: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» [أخرجه البخاري (٥٩٩١)].

وفي حديث آخر من أفراد مسلم أن رجلًا قال: يا رسول، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، قال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» [أخرجه مسلم (٢٥٥٨)]. والمعنى أنك منصور عليهم، وقد انقطع احتجاجهم عليه بحق القرابة، كما ينقطع كلام من سف الملّ، وهو الرماد الحار. والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة في صلة الرحم، وفي حقوق الوالدين، وفي تأكد حق الأم.

حقوق الأولاد

س: وما هي حقوق الولد على والديه؟

ج: لما كانت الطباع تميل إلى الولد لم يحتج إلى تأكيد الوصية به، إلا أنه قد يغلب هوى الوالد للولد، فيترك تعليمه وتأديبه. وقد قال الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. قال المفسرون: معناه: علموهم وأدبوهم.

وينبغي للوالد أن يحسن اسم ابنه، ويعق عنه، فإذا بلغ سبع سنين أمره بالصلاة وختنه، فإذا بلغ زوجه.

حقوق المملوك

س: ما هي حقوق المملوك؟

ج: أما حقوق المملوك، فأن يطعمه، ويكسوه ولا يكلفه ما لا يطيق، ولا ينظر إليه بعين الازدراء، وأن يعفو عن زلله، وليتذكر الله عند زلل نفسه، فيعفو رجاء أن يعفو الله تعالى عنه.

obeikandl.com

العزلة والخلطة

س: أيهما أفضل العزلة أم الخلطة؟

ج: اختلف الناس في العزلة والمخالطة، أيتهما أفضل؟ مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن فوائد وغوائل، وأكثر الزهاد اختاروا العزلة.

وممن ذهب إلى اختيار العزلة: سفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، والفضيل، وبشر الحافي، وآخرين.

وممن ذهب إلى استحباب المخالطة سعيد بن المسيب، وشريح، والشعبي، وابن المبارك وآخرين.

س: وما هي حجج القائلين بتفضيل العزلة على الخلطة والعكس؟

ج: لكل طائفة فيما ذهبت إليه حجج، ونحن نشير إلى ذلك.

أما حجة الأولين، فقد روي في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد قال: قيل: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «**رجل يجاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره**» [أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨)].

وفي حديث عقبة بن عامر ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟

قال: «**املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» [أخرجه أحمد في مسنده (٢١٧٣٢) والترمذي (٢٤٠٦)، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٣٩٢)]. وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «**خذوا بحظكم من العزلة**». وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: «**لوددت أن بيني وبين الناس بابًا من حديد، لا يكلمني أحد ولا أكلمه حتى ألقى الله سبحانه**».

وقال ابن مسعود ﷺ: «**كونوا ينابيع العلم، مصابيح الليل، أحلاس البيوت**

جدد القلوب خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون على أهل الأرض».

وقال أبوالدرداء ﷺ: «**نعم صومعة المرء المسلم بيته، يكف لسانه وفرجه وبصره، وإياكم ومجالس الأسواق، فإنها تلهي وتلغي**».

وقال داود الطائي: «**فر من الناس كما تفر من الأسد**».

وقال أبومهلهل: «**أخذ بيدي سفيان الثوري وأخرجني إلى الجبانة، فاعتزلنا ناحية، فبكى ثم قال: يا أبا مهلهل، إن استطعت أن لا تخالط في زمانك أحدًا فافعل، وليكن همك مرمة جهازك**».

وأما حجة من اختار المخالطة، فمن ذلك قول النبي ﷺ «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم**» [[صحيح]: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٦٥١)]. واحتجوا بأشياء غير ذلك ضعيفة لا تقوم بها حجة على ذلك، منها قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾. [آل عمران: ١٠٥]، وهذا ضعيف، لأن المراد تفرق الآراء والمذاهب في أصل الشريعة، واحتجوا أيضًا بقوله ﷺ: «**لا هجرة بعد ثلاث**» [أخرجه مسلم (٢٥٦٢)]. قالوا: والعزلة هجر بالكلية، وهذا ضعيف لأن المراد به قطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة.

س: ما هي فوائد العزلة؟

ج: فوائد العزلة: ست، **الفائدة الأولى**: الفراغ للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه، فإن ذلك يستدعي فراغًا، ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إلى ذلك خصوصًا في البداية. قيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضي بهم الزهد والخلوة؟ قال: «**إلى الأنس بالله**». وقال أويس القرني ﷺ: «**ما كنت أرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره**». واعلم: أن من تيسر له بدوام الذكر الأنس بالله، أوبدوام الفكر تحقيق معرفة الله، فالتجرد لذلك أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة.

الفائدة الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبًا

بالمخالطة، وهي أربعة. أحدها: الغيبة، فإن عادة الناس التمضمض بالأعراض والتفكه بها، فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى، وإن سكت كنت شريكًا، فإن المستمع أحد المغتابين، وإن أنكرت أبغضوك واغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة، وربما خرجوا إلى الشتم. الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من خالط الناس لم يخل عن مشاهدة المنكرات، فإن سكت عصى الله، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر، وفي العزلة سلامة من هذا.

الثالثة: الرياء، وهوالداء العضال الذي يعسر الاحتراز منه، وأول ما في مخالطة الناس إظهار التشوق إليهم، ولا يخلوذلك عن الكذب، إما في الأصل، وإما في الزيادة، وقد كان السلف يحترزون في جواب قول القائل: كيف أصبحت، وكيف أمسيت؟ كما قال بعضهم وقد قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مدنين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

واعلم: أنه إذا كان سؤال السائل لأخيه: كيف أصبحت؟ لا يبعثه عليه شفقة ولا محبة، كان تكلفًا ورياء، وربما سأله وفي القلب ضغن وحقد يورث أن يعلم فساد حاله، وفي العزلة الخلاص عن هذا، لأنه من لقي الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم، مقتوه واستثقلوه واغتابوه، ويذهب دينهم فيه، ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم. الرابعة: مسارقة الطبع من أخلاقهم الرديئة، وهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلًا عن الغافلين، وذلك أنه قل أن يجالس الإنسان فاسقًا مدة، مع كونه منكرًا عليها في باطنه، إلا ولوقاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقًا في النفور عن الفساد، لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينًا على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه، ومهما طالت مشاهدة الإنسان الكبائر من غيره، احتقر الصغائر من نفسه، كما أن الإنسان إذا لاحظ أحوال السلف في الزهد والتعبد، احتقر نفسه، واستصغر عبادته، فيكون ذلك داعية إلى الاجتهاد، وبهذه الدقيقة يعرف سر قول القائل: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

ومما يدل على سقوط وقع الشيء بسبب تكرره ومشاهدته، إن أكثر الناس إذا رأوا مسلمًا قد أفطر في رمضان، استعظموا ذلك، حتى يكاد يفضي إلى اعتقادهم فيه الكفر، وقد يشاهدون من يؤخر الصلاة عن أوقاتها، فلا ينفرون عنه نفورهم عن تأخير الصوم، مع أن ترك صلاة واحدة تخرج إلى الكفر، ولا سبب لذلك إلا أن الصلاة تتكرر، والتساهل فيها يكثر، وكذلك لولبس الفقيه ثوبًا من حرير، أو خاتمًا من ذهب، لاشتد إنكار الناس لذلك، وقد يشاهدونه يغتاب، فلا يستعظمون ذلك، والغيبة أشد من لبس الحرير، ولكن لكثرة سماعها، ومشاهدة المغتابين، سقط عن القلوب وقعها، فافطن لهذه الدقائق واحذر مجالسة الناس، فإنك لا تكاد ترى منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا، وفي غفلتك عن الآخرة، وتهون عليك المعصية، وتضعف رغبتك في الطاعات، فإن وجدت مجلسًا يذكر الله فيه، فلا تفارقه فإنه غنيمة المؤمن.

الفائدة الثالثة: الخلاص من الفتن والخصومات، وصيانة الدين عن الخوض فيها، فإنه قلما تخلوالبلاد من العصبية والخصومات، والمعتزل عنهم سليم. وقد روي ابن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الفتن، ووصفها وقال: «**إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، فكانوا هكذا**» وشبك بين أصابعه، فقلت: ما تأمروني؟ فقال: «**الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع أمر العامة**» [[حسن]: أخرجه أبو داود (٤٣٤٢)، (٤٣٤٣)، وابن ماجه (٣٩٥٧)، وأحمد (٦٩٤٨)، (٧٠٠٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٢٧٤٤)].

وقد روي غير ذلك من الأحاديث في معناه.

الفائدة الرابعة: الخلاص من شر الناس، فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة، ومرة بالنميمة، ومرة بسوء الظن، ومرة بالتهمة،ومرة بالإطماع الكاذبة، ومن خالط الناس لم ينفك من حاسد وعدو، وغير ذلك من أنواع الشر التي يلقاها الإنسان من

معارفه، وفي العزلة خلاص من ذلك، كما قال بعضهم:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرون من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب منتسيب

وقال عمر ﷺ: «**في العزلة راحة من خلطاء السوء**». وقال إبراهيم بن أدهم: «**لا تتعرف إلى من لا تعرف، وأنكر من تعرف**».

وقال رجل لأخيه: «**أصحبك إلى الحج؟ فقال: دعنا نعش في ستر الله، فإنا نخاف أن يرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه**».

وهذه فائدة أخرى في العزلة، وهي بقاء الستر على الدين والمروءة وسائر العورات.

الفائدة الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك، وطمعك عنهم.

أما طمعهم، فإن رضاهم غاية لا تدرك، فالمنقطع عنهم قاطع لطمعهم في حضور ولائمهم وإملاكاتهم، وغير ذلك.

وقد قيل: من عم الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم.

وأما انقطاع طمعك، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا تحرك حرصه، وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر المطامع فيتأذى.

وفي الحديث: «**انظروا إلى من دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» [أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣)].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١].

الفائدة السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ومقاساة أخلاقهم، وإذا تأذى الإنسان بالثقلاء، لم يلبث، أن يغتابهم، فإن آذوه بالقدح فيه كافأهم، فانجر الأمر إلى فساد الدين، وفي العزلة سلامة من ذلك.

س: وما هي آفات العزلة ومضارها؟

ج: اعلم: أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة.

ومن فوائد المخالطة: التعلم والتعليم، والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستئناس والإيناس، ونيل الثواب في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع، واستفادة التجارب من مشاهدة هذه الأحوال، والاعتبار بها، فهذه فوائد الخلطة، ولنفصلها:

الفائدة الأولى: التعلم والتعليم، وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم، فأما من تعلم الفرض ورأى أنه لا يتأتى منه الخوض في العلوم، ورأى الاشتغال بالعبادة، فليعتزل، وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران. ولهذا قال الربيع بن خيثم: تفقه ثم اعتزل، والعلم أصل الدين، ولا خير في عزلة العوام.

سئل بعض العلماء: ما تقول في عزلة الجاهل؟ فقال: «**خبال ووبال، فقيل له: فالعالم؟ فقال: مالك ولها، دعها، معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها**».

وأما التعليم، ففيه ثواب عظيم إذا صحت النية فيه، ومتى كان القصد إقامة الجاه والاستكثار من الأتباع، فهو هلاك الدين، وقد سبق ذلك في كتاب العلم، والغالب في هذا الزمان سوء القصد من المتعلمين، فيقتضي الدين الاعتزال عنهم، فإن صودف طالب لله ومتقرب بالتعلم إليه، لم يجز الاعتزال عنه، ولا يحل كتمان العلم، ولا ينبغي أن يغتر بقول من قال: تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، فإنه أشار بهذه إلى علوم القرآن والحديث ومعرفة سير الأنبياء والصحابة، وذلك يتضمن التخويف والتحذير، وهو سبب لإثارة الخوف من الله سبحانه، فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل، فأما علم الكلام وعلم الخلاف، فإنه لا يرد الراغب في الدنيا إلى الله تعالى، بل لا يزال صاحبه متماديًا في حرصه إلى آخر عمره.

الفائدة الثانية: النفع والانتفاع، أما الانتفاع بالناس، فبالكسب والمعاملة، والمحتاج إلى ذلك مضطر إلى ترك العزلة، وأما إن كان معه ما يقنعه، فالعزلة أفضل، إلا أن يقصد التصديق بكسبه، فذلك أفضل من العزلة، إلا أن تكون العزلة مفيدة له معرفة الله تعالى والأنس به، عن كشف وبصيرة، لا عن أوهام وخيالات فاسدة. وأما النفع: فهو أن ينفع الناس، إما بماله أو ببدنه لقضاء حوائجهم، ومن قدر على ذلك مع القيام بحدود الشرع، فهوأفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أوفكر، فذاك الذي لا يعدل به البتة.

الفائدة الثالثة: التأديب والتأدب، ونعني به الارتياض بمقاساة الناس، والمجاهدة في تحمل أذاهم، وكسر النفس، وقهر الشهوة، وذلك أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب أخلاقه.

وينبغي أن يفهم أن الرياضة لا تراد لنفسها كما لايراد ذلك من رياضة الدابة، بل المراد منها أن تتخذ مركبًا تقطع عليه المراحل، والبدن مطية يسلك بها طريق الآخرة، وفيها شهوات إن لم تكسر جمحت براكبها في الطريق، فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمره برياضة الدابة ولم يركبها، ولا يستفيد إلا الخلاص من عضها ورفسها، وهي لعمري فائدة، ولكن ليست معظم المقصود، قيل لراهبك يا راهب، فقال: لست براهب، إنما أنا كلب عقور، حبست نفسي حتى لا أعقر الناس، وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر، لكن لا ينبغي أن يقتصر عليه. وأما التأديب: فهوأن يؤدب غيره، ويتطرق إليه من دقائق الآفات ما يتطرق إلى نشر العلم على ماذكر.

الفائدة الرابعة: الاستئناس والإيناس، وقد يكون مستحبًا كالاستئناس بأهل التقوى وقد يقصد به ترويح القلوب من كرب الوحدة، فينبغي أن يكون الاستئناس في بعض الساعات بمن لا يفسد بقيتها، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في

أمور الدين.

الفائدة الخامسة: في نيل الثواب وإنالته.

أما الأول: فبحضور الجنائز، وعيادة المرضى، وحضور الإملاكات، والدعوات، ففيها ثواب من جهة إدخال السرور على المؤمن.

وأما الثاني: فهوأن يفتح بابه للناس ليعزوه أو يهنئوه أو يعودوه، فإنهم ينالون بذلك ثوابًا، وكذلك إن كان من العلماء فأذن لهم في زيارته.

ولكن ينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها، فيرجح العزلة أو المخالطة، وقد كان أكثر السلف يؤثرون العزلة عليها.

الفائدة السادسة: التواضع، ولا يقدر على ذلك في الوحدة، فقد يكون الكبر سببًا في اختياره العزلة، ويمنعه في المحافل التقصير في إكرامه وتقديمه، وربما ترفع عن مخالطتهم لارتفاع محله عند نفسه، أونحو ذلك.

وعلامة من هذه صفته أن يحب أن يزار ولا يحب أن يزور، ويفرح بتقرب السلاطين والعوام إليه واجتماعهم على بابه، وتقبيل يده، فالعزلة بهذا السبب جهل، لأن التواضع لا يغض من منصب الكبير.

فإذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقًا بالتفضيل نفيًا وإثباتًا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وعلى الباعث على مخالطته، وإلى الفائت بسبب مخالطته من الفوائد، ويقاس الفائت بالحاصل، فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل.

فقد قال الشافعي رحمه الله: «**الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة للسوء، فكن بين القبض والبسط**»، ومن ذكر سوى هذا فهو قاصر، وإنما هوإخبار عن حاله، فلا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال. فإن قيل: فما آداب العزلة؟

س: وما هي آداب العزلة؟

ج: ينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شره عن الناس، ثم طلب السلامة من شر الأشرار، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين، ثم تجريد الهمة لعبادة الله تعالى أبدًا، فهذه آداب بينة.

ثم ليكن في خلواته مواظبًا على العلم والعمل، والذكر والفكر، فيجتني ثمرة العزلة، وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته ليصفو وقته، وليكف عن السؤال عن أخبارهم، وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به، فإن جميع ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة، فوقع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض، وليقنع باليسير من المعيشة، وإلا اضطره التوسع إلى مخالطة الناس.

وليكن صبورًا على ما يلقاه من أذى الناس، ولا يصغى إلى الثناء عليه بالعزلة، ولا القدح فيه بترك الخلطة، فإن ذلك يؤثر في القلب فيقف عن السير في طريق الآخرة. وليكن له جليس صالح يستريح إليه ساعة عن كد المواظبة، ففي ذلك عون على بقية الساعات، ولا يتم الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر أمله، فيقدر أنه إذا أصبح لا يمسى، وإذا أمسى لا يصبح، فيسهل عليه صبر يوم.

وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر متى ضاق عليه قلبه من الوحدة، وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به، لم يطق وحشة الوحدة بعد الموت، وأن من أنس بذكر الله ومعرفته لم يزل الموت أنسه، لأن الموت لا يهدم محل الأنس والمعرفة، كما قال الله تعالى في حق الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

آداب السفر

س: ما تعريف السفر وما أنواعه؟

ج: السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه، أوالوصول إلى مرغوب إليه.

والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن الوطن، وسفر بسير القلب عن أسفل سافلين إلى ملكوت السماوات، وهذا أشرف السفرين، فإن الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة، الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء، لازم درجة القصور، قانع برتبة النقض، ومستبدل بمتسع عرضه السماوات والأرض السجن وضيق الحبس.

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه في خطر خطير، اندرست مسالكه.

س: ما هي أقسام سفر البدن، وما آفاته وفوائده؟

ج: سفر البدن: أقسام، وله فوائد وآفات عظيمة، فإنه يضاهي النظر في العزلة والمخالطة، وقد ذكرنا منهاج ذلك.

فالفوائد الباعثة عليه لا تخلو من هرب أو طلب، فالهرب إما من أمر له نكاية في الأمور الدنيوية، كالطاعون إذا ظهر ببلد، أوكخوف فتنة وخصومة، أو غلاء سعر. وإما أمر له نكاية في الدين، كمن ابتلي في بلده بجاه أو مال أو اتساع أسباب، فصده عن التجرد لله تعالى، فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه، وكمن يدعى إلى بدعة أو إلى ولاية عمل لا تحل مباشرته، فيطلب الفرار منه.

وأما المطلوب، فهو إما دنيوي كالمال والجاه، أو ديني كالعلم بأمور دينه، أو بأخلاقه في نفسه، أو بآيات الله في أرضه، وقل مذكور بالعلم محصل من زمان

الصحابة ﷺ إلى زماننا إلا وحصل العلم بالسفر وسافر لأجله.

وأما علمه بنفسه وأخلاقه، فذلك أيضًا مهم، فإن سلوك الآخرة لا يمكن إلا بتحسين الخلق وتهذيبه، وإنما سمي السفر سفرًا، لأنه يسفر عن الأخلاق.

وفي الجملة فالنفس في الوطن لا تظهر خبائث أخلاقهم لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة، فإذا حملت وعثاء السفر، وصرفت عن مألوفاتها المعتادة، وامتحنت بمشاق الغربة، وانكشفت غوائلها، ووقع الوقوف على عيوبها. وأما آيات الله في أرضه، ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر: ففيها قطع متجاورات، وفيها الجبال والبراري والقفار والبحار، وأنواع الحيوان والنبات، وما من شيء إلا وهو شاهد لله بالوحدانية، ومسبح بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد.

وإنما نعني بالسمع: سمع الباطن، فبه يدرك نطق لسان الحال، وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله سبحانه بالوحدانية.

وقد ذكرنا أن من فوائد السفر الهرب من الولاية والجاه وكثرة العلائق، لأن الدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله، ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية، ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها، وقد نجا المخففون وهلك المثقلون، والمخف الذي ليست الدنيا أكبر همه.

س: وماذا عن السفر المباح؟

ج: من أقسام السفر أن يكون مباحًا، كسفر التفرج والتنزه،فأما السياحة في الأرض لا لمقصود، ولا إلى مكان معروف، فإنه منهي عنه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «**ما السياحة من الإسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين، ولأن السفر يشتت القلب**»، فلا ينبغي لطالب العلم أن يسافر إلا في طلب علم أومشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته.

س: وما آداب السفر؟

ج: للسفر آداب معروفة مذكورة في مناسك الحج وغيرها، من ذلك أن يبدأ برد المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، ورد الودائع.

ومنها: أن يختار رفيقًا صالحًا، ويودع الأهل والأصدقاء.

ومنها: أن يصلي صلاة الاستخارة، وأن يكون سفره يوم الخميس بكرة.

ومنها: أن لا يمشي منفردًا، وأن يكون أكثر سيره بالليل، ولا يهمل الأذكار والأدعية، إذا وصل منزلًا أوعلا نشزًا أوهبط واديًا.

ومنها: أن يستصحب معه ما فيه مصلحتهن كالسواك، والمشط، والمرآة، والمكحلة، ونحو ذلك.

س: ما هي الأمور التي لا بد للمسافر منها في سفره؟

ج: ينبغي للمسافر أن يتزود للدنيا والآخرة، أما زاد الدنيا، فالمطعم والمشرب وما يحتاج إليه.

ولا ينبغي أن يقول: أخرج متوكلًا فلا أحمل زادًا، فهذا جهل، فإن حمل الزاد لا يناقض التوكل.

وأما زاد الآخرة، فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصلاته وعبادته، وتعلم رخص السفر، كالقصر والجمع والفطر، ومدة مسح السفر على الخفين والتيمم، والتنفل للماشي، وكل ذلك مذكور في كتب الفقه بشروطه.

ولا بد للمسافر من معرفة ما يتجدد السفر، وهو علم القبلة والأوقات، فإن ذلك في السفر آكد من الحضر.

ويستدل على القبلة بالنجوم والشمس والقمر والرياح والمياه والجبال والمجرة على ما هو مبين في موضعه، ويعتبر الجبال بأن وجودها جميعها مستقبلة البيت.

وأما المجرة، فتكون أول الليل ممتدة على كتف المصلي اليسري إلى القبلة، ثم يلتوي

رأسها حتى تصير في آخر الليل على كتفه اليمنى، وتسمى المجرة: سرج السماء.

وأما معرفة أوقات الصلوات، فلابد منها، ووقت الظهر يدخل بزوال الشمس، فلينصب المسافر عودًا مستقيمًا، وليعلم علامات على رأس الظل، ولينظر، فإن رآه في النقصان علم أنه لم يدخل وقت الظهر، فإذا أخذ في الزيادة علم أنه قد زالت الشمس ودخل الوقت، وهو أول وقت الظهر، وآخره إذا صار ظل كل شيء مثله، ثم يدخل أول وقت العصر، وآخره إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه.

وعن الإمام أحمد: أن آخره ما لم تصفر الشمس، ثم يذهب وقت الاختيار، ويبقى وقت الجواز إلى غروب الشمس، وباقي الأوقات معروفة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- س: اذكر طرفًا من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي بعث الله به النبيين، ولو طوي بساطه، لاضمحلت الديانة، وظهر الفساد، وخربت البلاد.

س: اذكر بعض الآيات والأحاديث في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث عليه؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وفي هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين، لأنه قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾، ولم يقل: كونوا كلكم آمرين بالمعروف، فإذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له. وفي القرآن العظيم آيات كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل القائم على**